مقـالة

لاتُقَوِّنْني مالم أقل

لفضيلة الشيخ
محمد عثمان العنجري

1 / 06 / 2019

لا تُقَوِّلْني ما لم أقل

قال الشيخ ربيع وفقه الله للخير وأطال بعمره على العمل الصالح :
((ليس هناك من يدّعي الوصاية على الدعوة السلفية ، ولا من يدّعي ذلك ، وليس هناك من يشبه بابا روما أو الفاتيكان ،إنما هناك علماء ربانيون ...))

نعم ليس هناك كاهونوتية ولا بابوية في الإسلام ، بل هناك فرق واضح عند المسلمين بين معرفة حق العالم وبين تقديسِه والتعصب لأقواله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ ". وقال صلى الله عليه وسلم : "استفتِ نفسَك و إن أفتاك المُفْتونَ"

نعم هذه عقيدتنا لا يجوز الأخذ والعمل بفتوى العالم إذا اعْتَقدت خطأ قوله، فالعالم خطَّاء، وليس بمعصوم، وهذه المسألة عقيدة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إيّاكُم وحَزَائِز القلوب وما حَزَّ في قَلْبِكَ من شيء فَدَعْهُ"

وعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه: قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ ، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ حَاتِمٍ، أَلْقِ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، قَالَ: فَأَلْقَيْتُهُ، قَالَ: ثُمَّ افْتَتَحَ بِسُورَةِ بَرَاءَةَ، فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} سورة التوبة آية 31، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا كُنَّا نعبْدُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَلَيْسَ كَانُوا يُحِلُّونَ لَكُمُ الْحَرَامَ فَتَسْتَحِلُّونَهُ ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْكُمُ الْحَلَالَ فَتُحَرِّمُونَهُ ؟ ، قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ "

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "لتركبن سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير أني لا أدري تعبدون العجل أم لا."

وقال الإمام الدارمي : "إن الذي يريد الشذوذ عن الحق يتبع الشاذ من قول العلماء ويتعلق بزلاتهم"

وقال الشيخ أحمد النجمي رحمه الله محذرا من تبرير زلة العالم وإظهارها بصورة الحق بقوله :
"زَلَّةُ العَالم المُخَالِفَةُ لِلشَّرع ثلمة فِي الدِّين، فَإِن بيّنَتْ لِلنَّاسِ رُقَّعَتْ تِلْكَ الثلمة، إِن حاول الآخَرُونَ الاِعْتِذَارَ له وَتَبْرِير خَطئه اتَّسَعَتْ تِلْكَ الثلمة، وَأَثَّرَتْ فَسَادًا فِي الدِّين."

وأوضح ذلك لنا ابن القيم بقوله : " لا يجوز العمل بمجرد فتوى المفتي إذا لم تطمئن

نفسه، وحاك في صدره من قبوله، وتردد فيها، لقوله صلى الله عليه وسلم: "استفت نفسك وإن أفتاك الناس وأفتوك."

وقال رحمه الله في موضع آخر : "العالِم يزِلُّ ولا بُدَّ إذ لَيسَ بمعصوم، فلا يجوز قبول كلِّ ما يقوله ويُنزَّلُ قوله منزلة قول المعصُوم، فهذا الذي ذمه كلُّ عالِمٍ."

وقال ابن القيم رحمه الله: "ولا يظن المستفتِي أن مجرد فتوى الفقيه تبيح له ما سأل عنه، إذا كان يعلم أن الأمر بخلافه في الباطن، سواء تردد أو حاكَ في صدره لِعِلْمِه بالحال في الباطن، أو لشكِّه فيه، أو لجهله به، أو لعِلمه جهلَ المفتِي أو محاباته في فتواه، أو عدمِ تقييده بالكتاب والسنة"

وقال العلامة ابن باز : "المؤمن ينظر ويتأمل ولا يعجل ويتحرى من هو أقرب الناس إلى الإصابة من أهل العلم "

وقال رحمه الله في موضع آخر -يعني به العالم-: "إذا سأله سائل يعلم أنه قد سأل غيره فلا مانع، وإن سأله قال: ماذا قال لك فلان؟ حتى يستطيع بذلك إما أن يوافقه أو يخالفه فلا بأس، كان الصحابة قد يفعلون هذا، قد يفعلون هذا يسألون من سألهم: ماذا قال لك فلان؟ يقول: قال فلان، فيقول: هو على فتواه، وقد يخالفه فيقول: الفتوى كذا والفتوى كذا. نعم."

ولذلك قالها الإمام الألباني كلمة واضحة جامعة:
"السنِّي لا يغالي فيمن يحترمه"

وقال الألباني رحمه الله : "والسني لا ينبغي له أن يغالي فيمن يحترمه حتى يرفعه إلى مصاف ... المعصومين."

هذا النهج الواضح المسطر بالأدلة والآثار والأقول ستعارضه أقلام الباطل مرضعات الفتن السامة المتلونة التي لا تكتب الباطل محضا بل تخلط الحق بالباطل كما قال تعالى: {ولا تلبسوا الحق بالباطل} ولكن على العبد المسلم أن يتذكر أن انقياده واستسلامه لا يكون إلا للكتاب والسنة على فهم الصحابة الكرام لا إلى الأشخاص وقد يكون الرجل إماماً في علوم الشريعة كلها نعم كلها كابن تيمية ولكنه خطاء لا عصمة له (كل بني آدم خطاء) فلا تمنع منزلة العالم من بيان أخطائه وزلاته،

كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "يجب على من عثر على وهم إنسان ولو كان من أكبر العلماء في عصره أو فيمن سبقه أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ، لأن بيان الحق أمر واجب وبالسكوت يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل، لأن احترام الحق أولى بالمراعاه."

إلا أن أهل الفتن والتلون والتعصب لن يرتضوا هذا النهج، وهنا يتذكر السني ما عاناه أهل الحق في كل زمان من أهل الفتن.

كما قال الواسطي وهو يوصي تلاميذ شيخ الاسلام ابن تيمية: "صبراً يا إخواني على ما أقامكم الله فيه من نصرة دينه، وتقويم اعوجاجه، وخذلان أعدائه."

وكما قال الصنعاني: "الناس ما زالوا أعداء لأئمة الاستدلال وقاصرين نظرهم على تقليد الرجال، ومن عمل بالدليل شَنُّوا عليه غارات القال والقيل، ورموه بكل قولٍ وعملٍ وبيل."

وقال أبو مسهر: "ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده ما يجلس إليه أحد وحتى ملئت أذنه شتماً وهو يسمع."

وتأكيدا على ما تقدم قال الإمام الألباني: "فالناس من جملة ما اضطربوا في المفاهيم وخرجوا عن الفهم الصحيح للكتاب والسنة أن المسلم إذا قال في حق عالم أخطأ اعتبر هذا طعناً في الذين قيل إنه أخطأ وهذا جهل قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في قضية أخطأت هل طعن الرسول في صاحبه في الغار ؟ حاشا"

وختاماً أقول قال ﷺ: "الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ"، فالحلال ما أحله الله وهو بيّن معروف بالأدلة الظاهرة من الكتاب والسُّنة والحرام بيّن معروف ما حرمه الله بالأدلة الظاهرة من الكتاب والسُّنة، ومَن خَفِي عليه شيء وَجَبَ عليهِ سؤالُ المفتين لقوله تعالى { فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

مع الاقتداء بأمر النبي ﷺ في قوله: "استفتِ نفسَك وإن أفتاك المُفْتونَ " وتحت مظلة: "البِر: ما اطْمأنَّتْ إليه النَّفْسُ واطمأَنَّ إليه القلْبُ .. والإثمُ: ما حاك في النَّفسِ وتردَّدَ في الصَّدرِ"

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بقلم الشيخ / محمد عثمان العنجري
السبت 27 رمضان 1440
الموافق 1 / 6 / 2019